

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا  
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ  
رواه مسلم

البناء العلمي

## البناء العلمي

### المرحلة الثانية

### الفصل الدراسي الأول

تفسير جزء تبارك

د. عبدالعزيز السدحان

## الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابتة أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

### تفسير سورة الجن.



- ❖ **أولاً:** هذه السورة مكية، بل ذَكَرَ بعضهم أنَّها مكية بالاتفاق.
- ❖ **ثانياً:** ذَكَرَ كثير من المفسرين أنَّ لها اسمين: الأول: "قل أوحى"، والثاني: "الجن".
- ❖ **ثالثاً:** آياتها ثمانٌ وعشرون آية، وقيل: سبعٌ وعشرون آية، يبدو أنَّه دَمَجَ من خلال رواية القراءة آية شَبَكَ آيتين، أو جعل آيتين آية واحدة، وهذا له نظائر في بعض السور.
- ❖ **رابعاً:** فضائلها: لم يرد في فضلها حديث صحيح، ولكن ورد حديثاً باطلاً، ونقولُه من أجل أن يُعرف فيحذر، وهو: "مَنْ قرَأَ سورة الجن، أعطاه الله عدد من صدَّق أو كفر بمحمدٍ عتق رقبة"، وهذا حديث ليس له زمامٌ ولا خطام.
- هذه السورة الكريمة عن قصة الجنِّ مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-. وذكر بعض أهل العلم أنَّ العقلاء مِنَ الخلق ثلاثة: الإنس، والجن، والملائكة، وللفادة العلمية قالوا: أولهم خَلَقُوا الملائكة، ثم الجن، ثم الإنس، الإنس هم الأخير، واستدلوا على ذلك بآية سورة الحجر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ \* وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 26، 27]، ولَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ أَمَرَ الملائكة أن يَسْجُدُوا لَهُ، وعلى هذا فذكر بعضهم أن خلق الملائكة كان أولاً، ثم الجن، ثم الإنس.
- وسمي الجن بالجن؛ لاجتماعهم وخَفَائِهِمْ، ولهذا سُمِّيَ الجنين بالجنين؛ لاختفائه في بطن أمه، وتُسَمَّى الحديقة جَنَّةً أو جُنينة؛ لأن أشجارها الظاهرة تَسْتُرُ أشجارها الباطنة أو الداخلة في جوفها.
- الجن خلق من خلق الله، مكلفون، لهم صفات متنوعة، كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «الْجِنُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَّاتٌ وَكِلَابٌ، وَصِنْفٌ يَحْلُونَ وَيَظْعَنُونَ»<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> صحيح الجامع برقم (3114) عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الجنُّ ثلاثة أصنافٍ: فصنفٌ لهم أجنحةٌ يطيرون بها في الهواء، وصنفٌ حَيَّاتٌ و كِلَابٌ، وصنفٌ يَحْلُونَ وَيَظْعَنُونَ".

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

- ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد -صلى الله عليه وسلم.
- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أُوْحِيَ إِلَيَّ فيها فائدة نحوية قرأتها، وهي: أَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النُّحَاةِ المتأخرين يقولون: هذا مبني للمجهول، بينما قرأت أَنَّ المتقدمين يقولون: هذا مبني لما لَمْ يُسَمَّ فاعله، تأدُّبًا مع الله -عز وجل.
- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ قل يا محمد، أخبرهم بأنه قد أُوحِيَ إليك.
- نسيت أن أذكر لكم في المقدمة: أن الجن كانوا يسترقون السمع من السمَاء، كما سيأتي، وأنهم لما أرادوا الاستراق رُموا بشَّهَب، فعلموا أَنَّ حدثًا في الدنيا قد حدث، ولَمَّا أعطاهم الله مِن سُرْعَةِ التَّنْقِلِ، طافوا الأرض يبحثون عن هذا السبب، حتى مَرَوْا بسوق عُكَاظَةٍ في وادي نخلة في تهامة، فسمعوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- يَقْرَأُ القرآن، فعلموا أَنَّ هذا المقروء مِن أَجْلِهِ مُنْعَوًا من استراق السَّمْعِ، وَأَنَّ مَنْ أَرَادَ الاستراق فَإِنَّهُ يُرْجَم أَوْ يُرْمَى بِشَّهَابٍ ثَاقِبٍ.
- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ ، ذهب بعض أهل اللغة إلى أَنَّهُ لا فرق بين لفظي: "سَمِعَ و اسْتَمَعَ" بينما ذهب آخرون إلى وجود فرق بينهما فقالوا: سمع مجرد، وبعضهم يقول: استمع زيادة مبني وفيها زيادة معنى، فهو: اسْتَمَعَ وَوَعَى مَا سَمِعَ.
- ولهذا قال بعض الفقهاء: هل إذا قرأ القارئ سجدة في غير صلاة، فهل يسجد من يَسْمَعُه؟ قالوا: أَمَّا المُسْتَمِعُ فيسجد أفضل، وَأَمَّا السَّامِعُ فهو بالخيار؛ لِأَنَّ المُسْتَمِعَ هو مَنْ جَلَسَ بقصد الاستماع، أَمَّا السَّامِعُ فلم يكن قاصدًا الاستماع.
- ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وضعت العرب مصطلحات لحصر عدد أو أعداد معينة، فقالوا: نفر هو ما دون العشرة، وبعضهم قال: حده ما دون الأربعين.
- والبضع مِن الثلاث إلى التسع، بينما النيف: فهو من الواحد إلى الثلاثة.
- ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ كم عددهم؟ الله أعلم، المهم أنهم مجموعة، ولا يَضُرُّ أن يُعْرَفَ العدد.
- ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ أي: استمعوا وفهموا، وقوله: ﴿سَمِعْنَا﴾ على من قال بمعنى واحد، وقد يقال هنا: إنهم ذكروا الاستماع والوعي، ولا مانع مِن التعبير بالسمع.
- ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا﴾ القرآن هو كل شيء مقروء فهو قرآن، ولهذا جاء في الحديث: «لَقَدْ خُفَّ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ»<sup>٢</sup> الزبور فهو يُقْرَأ.
- ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ كلام مَا سَمِعُوهُ مِن قبل، سمعوا الشُّعْرَاء، وقول الكهَان، لكن هذا الذي سَمِعُوهُ تَعَجَّبُوا مِن فَصَاحَتِهِ، وَمِن بِلَاغَتِهِ، وَمِن نَظْمِهِ.

<sup>٢</sup> البخاري (4713) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُفَّ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَائِيهِ فَيُشْرِحُ فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْرِحَ دَائِيَّتُهُ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ.

• ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أشار بعض المفسرين إلى أن هذا فيه تَبَكُّيت لكفار قريش، سمعوا القرآن مرات وكرات، ومع ذلك ما تأثروا، ولا استجابوا، وهؤلاء سمعوه لأول مرة، فكانوا أَعْقَل ممن سمعوه مرات ولم يستفيدوا ولم يتعظوا.

• ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ عَجِيب في نَظْمه وَلَفْظه وَمَعَانِيه.

• ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الرُّشْد جاء ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، والرُّشْد هو ما فيه صلاح الأمر في الدين والدنيا، وفيه السعادة، والطمأنينة، وفيه مَرْضَات الله تعالى، أي: هو الحياة الطيبة.

• ﴿فَأَمَّا بِهِ﴾ هذا القرآن يَهْدِي إلى الرُّشْد، يَهْدِي للتي هي أقوم، فالقرآن يَهْدِي إلى كل الخير، إِمَّا نَصًّا، وإِمَّا تَضَمُّنًا، وإِمَّا التَّزَامًا، فكل القرآن الكريم يدل على الخير، الخير الحسي والمعنوي، خير الدين، وخير البرزخ، وخير الآخرة.

• ﴿فَأَمَّا بِهِ﴾ سُرعة الاستجابة، سمعوا، وتعجبوا، وعلموا أنه يدل إلى الرُّشْد، وهذا من توفيق الله لهم، هداية إلهام وتوفيق من رب العالمين.

• ﴿فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ﴾ لاحظ، مِن لوازم الإيمان، وسلامة الإيمان ألا يكون هناك شيء مِن الشرك. فكما قال بعضهم: سلامة إيمان الجن هؤلاء أنهم صَدَّقُوا ثم تَبَرَّءُوا ﴿فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

• وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّن أَنَّ دَعْوَةَ النَّاسِ لِلتَّوْحِيدِ، وتعظيم شأن التَّوْحِيدِ، وخاصة عند غير المسلمين، مِن أَهمِّ المُهِمَّات، فإذا دَخَلَ التَّوْحِيدُ إلى قلب الإنسان، تتغير أحواله، تتغير نفسيته، تتغير مشاعره.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا \* وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾.

• ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ كلمة "جَدُّ" في لغة العرب، قد تستعمل في أكثر من موضع، بحسب القرائن.

• ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأت في بعض وسائل الاتصال أَنَّ هناك مَنْ يُخَطِّئ مَنْ يَقْرَأُ كلمة "جَدُّ" <sup>٣</sup> بالفتح ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾، ويقول: لا يُقال ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾، وإنما يُقال: "جَدُّ"، وهذا من الجهل، ومن القول بلا علم، فنحن في أوَّل الصَّلَاة نذكر هذه اللفظة، وعقب الصَّلَاة نذكر هذه اللفظة، في أول الصَّلَاة؟ في دعاء الاستفتاح. «وَتَعَالَى جَدُّكَ» <sup>٤</sup>، وبعد الصَّلَاة: «وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» <sup>٥</sup>، ذا العظمة، لا ينفع ذو العظمة، ولا ينفع ذو السلطان والقوة، فقوة كل أحد لا شيء عند قوة الله، وسلطان كل أحد وعظمته لا شيء عند عظمة الله - سبحانه وتعالى.

• ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ عَظَمَةُ رَبِّنَا، وَعَظِيمُ شَأْنِ رَبِّنَا، ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ لم يلد ولم يولد، الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، ولهذا كان قول هؤلاء الكفرة الذين ادعوا أَنَّ له وَلَدًا: ﴿لَقَدْ

<sup>٣</sup> وفي "توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام" للبيضاوي (169/2): "جَدُّكَ: بفتح الجيم وتشديد الدال، أي عظمتك وجلالك وسلطانك" انتهى.

<sup>٤</sup> روى مسلم في صحيحه (399) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَانَ يَجْهَرُ بِقَوْلِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». وقد روي ذلك مرفوعاً، وموقوفاً على عمر، وغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وينظر: "السنن" للدارقطني (58/2) وما بعدها. سلسلة الأحاديث الصحيحة (2996)، وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص93) للألباني رحمه الله.

<sup>٥</sup> البخاري (844)، ومسلم (593) بلفظ "اللَّهُمَّ لَا مَنَاعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يُنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ".



جِنَّتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿ [مريم: 89]، أي: عظيمًا ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا \* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا \* إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: 90-93].

- ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ ، الجن قبل إيمانهم، وقبل سماعهم للقرآن الكريم، كان هناك لهم قادة، يتبعون كلامهم، ويأتمون بما يقولون، فلما جاء القرآن، ومن أسمائه الفرقان، فَرَّقَ بين الحق والباطل، وعلموا أن أولئك الزعماء، كانوا يقولون قولًا شططًا، أي: خارجًا عن الحق، وبعيدًا عنه.

ما الذي أدراهم؟ لما سمعوا القرآن، وبضدها تتميز الأشياء، ولهذا دائمًا كلما أُمِّنَ الإنسان التديبير في القرآن الكريم، كلما زَادَ استيضاحًا ولزومًا لطريق الصَّواب، واجتنابًا لطريق الباطل، ولهذا قال: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 55]، قالوا فيها قراءة: وَلِتَسْتَبِينَ يا محمد سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ، أخرى كما سمعت: ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: تتضح لكم سبيل المجرمين.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا \* وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا \* وَأَتَاهُمْ ظَنُّوْا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين، وهنا كما تقدم، قد تأتي الكلمة ولها أكثر من معنى، تُعرف بالقرينة، وتُعرف بسياق الكلام.
- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: أيقنَّا، ﴿أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ هذا كلام مُستبعد، وبعيد عن الذهن؛ لأنه أمر عظيم أن يَكْذِبَ الإنسان على ربه، بل الكذب بذاته مُستبشع فطرة وعُرفًا، ناهيك عن قُبْحِهِ شَرْعًا، والكذب أنواع، وأعظم الكذب: الكذب على الله -عز وجل؛ لأنه هو أعظم أنواع الكذب، ولهذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ كَذِبًا عَلَىَّ لَيْسَ كَكُذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>٦</sup>؛ لأنَّ مَنْ كَذَبَ على الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد كَذَبَ على مَنْ؟ كذب على الله تعالى، فهو الذي أرسله.
- وهنا نستفيد أيضًا قُبْحَ شَأْنِ الكذب، وأنَّ المعصية تتفاوت في جُرْمِهَا، أو في عَظِيمِ شَنَاةِهَا بحسب أحوالها، كما أنَّ الطَّاعَةَ أيضًا تتفاوت مرتبتها بحسب أحوالها، فمثلًا مَنْ تَبَسَّمَ فالتبسم صدقة، وَمَنْ بَرَّ وَالديه وأطاع أمرهما، فهو مأجور، فإذا تبسم في وجهيهما، فقد جَمَعَ بين أمرين، فإذا تَلَفَظَ في الحديث معهم بِالْفَافِ طيبة، جمع بين البر الفعلي، والبر القولي، والتبسم.
- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ذَكَرَ أَهْلُ التفسير أَنَّ هذه الآية تحتمل عدة معانٍ، منها:

<sup>٦</sup> البخاري (1229)، ومسلم في مقدمة صحيحه (3) دون قوله: "إن كذبنا علي ليس ككذب علي أحد"

✓ كان رجال من الإنس يعوذون، أي: يلوذون برجال من الجن، فزاد الجنُّ أولئك الرجال من الإنس رهقًا، أي: خوفًا وذُلًّا، فإذا نزلت بهم نازلة، ذهبوا يستغيثون بأولئك الجن، حتى إنَّ بعضهم كان إذا نزل الوادي، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي؛ ليحني ماشيته، أو ليحني ماله وأولاده، ولهذا زادَ الجنُّ الإنسَ دُعرًا وخوفًا وذُلًّا.

✓ والتفسير الآخر: زادَ الإنسُ الجنَّ -الإنسُ فاعل- كِبْرًا، وزادوهم، أي: الجنُّ عُجبًا في غير محله، لماذا؟ لتعظيمهم.

• ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا \* وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا \* وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

ظَنُّوا أن ليس هناك بعثة، وأنَّ النبوة انقطعت، وهذا الظنُّ كله ذهب هباءً منثورًا ببعثة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَئِحَةً حَرَاسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا \* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

• ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أعطى الله الجنَّ قُوَّةً يتمكنون بها من التنقل السريع، ومن شواهد هذا ما جاء في

سورة النمل، لما سُليمان -عليه الصَّلَاة والسلام- أَرَادَ إحضار عَرَشِ صَاحِبَةِ سَبَأَ: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ

يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾

[النمل: 37، 38]، الملك في كُرْسِيهِ مَا يطيل الجلوس، وهذا، أي: العفريت سيذهب إلى اليمن، والعرش بثقله

وجمله ثم يأتي به إلى الشام، هذه قوة في التحمل، وقوة في الانطلاق والعودة، فمكَّتهم الله من أمور، واعتادوا

على استراق السمع، فلما أرادوا -كعادتهم- الاستراق، وجدوا أنَّ السَّمَاءَ ليست كما عهدوها، كانوا يَلْجُونَ

ويستمعون إلى آخره، وهذا في حدود معينة، لكن هذا الأمر المألوف عندهم تغير، فعلموا أنَّه قد حَدَثَ أمر

جلل، فهذا التغير في السَّمَاءِ، وَمَنْعُهُمْ مِنْ اقْتِرَابِهَا، وأنها مملوءة حَرَاسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا.

هنا يقال: لو شاء الله ما جعل فيها أحداً، لكن جعل هذا من باب الحكيم في تعظيم رسالة محمد -عليه

الصلاة والسلام، وإلا فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، لكن هذا من باب الأسباب.

• ﴿مُلِئَتْ﴾ لاحظ التعبير ﴿حَرَاسًا﴾ الحارس قد يكون ضعيفًا، فيُستغفل، لكن هنا ماذا قال: ﴿حَرَاسًا شَدِيدًا﴾

وليس فقط من الحرس.

وهناك أيضًا ماذا؟ شُهَبٌ من نار، يُرمى بها مَنْ استرق السمع.

• ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ هذا الفعل الماضي، في الماضي، ﴿كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ وهذا كله بمشيئة الله تعالى، أقدرهم على أمور

لحكمة، ثُمَّ مَنْعَهُمْ لحكمة.

• ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ﴾ جمع مقعد، أي: كُثُر، كلُّ له مقعد، هذه المقاعد الله تعالى أعلم بكيفيتها، قد

تكون في الهواء، أو غير ذلك، الله أعلم بذلك، أمور غيبية، لا يضر الجاهل بها؛ لأنَّ المعنى واضح، والمقصد

واضح.

- ﴿نَفَعْدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ هذا في الماضي ، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ﴾ المضارعة الآن ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾ ماذا يكون له؟ ﴿يَجِدْ لَهُ﴾ له هو، ذلك المستمع، أي: له خاص به، كما قال: ﴿غُلْمَانُ لَهُمْ﴾ [الطور: 24]، خاص بأولئك، كما أن هؤلاء الذين يستمعون لهم إذا استمعوا وتعدوا حدودهم، يجدون لهم شهابًا رَصَدًا، وهنا كما يقال الشيء المصيد، أو المصاب قد تخطئه الرمية، لكن هنا لا، يرصده، أي: لا يتعداه، بل يصيبه ولا يتجاوزه.

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا \* وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾.

- ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي﴾ هنا القول بـ ﴿لَا نَدْرِي﴾ الواجب على الإنسان أن يتكلم بعلم، أو يصمت بحلم.
- ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي﴾ هذه الأمور؛ لأنها أمور غيبية، وأمور كونية، وأمور عظيمة، تغير بها مجرى التاريخ، بهذه البعثة النبوية، على صاحبها أتم الصلاة والتسليم.
- ﴿وَأَنَا﴾ أي: الجن يقولون ﴿لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ قالوا: من أدب الجن: لما ذكر الشر، أتوا بما لم يُسم فاعله، وهو ما يُعرف بالمبني للمجهول، ولما ذكر الخير "الرشد"، نسبوا ذلك لله تعالى، مع أن الأمر كله لله.
- ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، هذه الرسالة هي من عائد وخاصم وكفر بها، هي وبالاً عليه، ومن آمن وصدق واتبع، فهي رحمة ورشاد له.
- وهنا ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي﴾ ينبغي للإنسان في الأمور الغيبية، أو الأمور التي ما ينبغي للإنسان أن يجزم بخبر لها، وهناك احتمالات أخرى، قد تكون في القوة نفسها؛ لأن الجزم والقطع بالنتيجة ليس منهجًا سويًا، بل قد يكون من القول بلا علم، فهؤلاء الجن تأدبوا، ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي﴾، ما أدركوا، حتى الآن ما ظهرت النتيجة، وما ظهر الأمر واضحًا، حتى يجزموا بأي الأمرين ذلك.
- فنستفيد أن الإنسان بخاصة طالب العلم لا يجزم، وبخاصة فيما يتعلق بتنزيل الوقائع على الله - سبحانه وتعالى، أو تنزيل النصوص على الوقائع المعاصرة، فالجزم والقطع بها ليس منهجًا سويًا.
- ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ الإنس يتفاوتون، ففهم الطائع، وفهم المقصّر، وفهم المنافق، وفهم الكافر، وكذلك الجن، فالجن يختلفون في طاعة الله تعالى، منهم صالحون، ومنهم دون ذلك كما سيأتي ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ ، وهذا بحسب اجتهاد الشخص، وبحسب ديانته وصدقه، واستجابته.
- ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ مختلفين، ﴿قِدَدًا﴾ قَدَدَ اللحم ،أي: قطعته، متفرقون، أحزاب وطوائف، كما في الإنس.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا \* وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

- ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ يعرفون مهما فعلوا، ومهما ابتعدوا لن يصلوا إلى نتيجة، ففروا يعني يفرون من الله إلى الله، أين يفرون؟



وهذا أيضًا من بالغ علمهم، يعني: لن يفروا من الله، ولن يهربوا، ولهذا من اللطائف: أَنَّ أَحَدَ النَّاسِ أَتَى إِلَى أَحَدِ الْعُلَمَاءِ <sup>٧</sup>، فقال: إني أريد أن أعصي الله، وألا يُحاسِبني، فهذا العالم أراد أن يُعطيه جوابًا، قال: إن استطعت أن تذهب إلى مكان لا يراك الله فيه فافعل، قال: لا أستطيع، المهم أنه كل ما قال له شيئًا، ردَّ عليه بقوله: لا أستطيع، فقال: إذن لا تعمل المعصية واعمل الطاعات تؤجر عليها.

• ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ سرعة استجابة وقبول، وانظر إلى ما فتح الله عليه أبصارهم وقلوبهم: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ﴾ إيمان، وقد تقدّم في أول السورة: ﴿فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ﴾ إذن تخلصوا من شوائب الشرك جميعًا، وأصبح إيمانهم بالله تعالى خالصًا، ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، ولهذا في سورة التغابن، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11]، قرأت وسمعت أن هناك قراءة، لا أدري، أنتم أدري مني: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ <sup>٨</sup>، ولهذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، كما في حديث هرقل وأبي سفيان <sup>٩</sup>، يشعر الإنسان بالراحة النفسية والبدنية، ومن ثمار ذلك: أَنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ لَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا، فلا يقلق، ولا يقنط، ولا ييأس، وإذا نزلت به المصائب، تعامل معها التعامل الشرعي، فلا يعترض على قضاء الله وقدره، بل يرضى عن أقضية الله الدينية والكونية، ويسأل الله أن يرضى عنه، ولهذا كلما زاد إيمان العبد، كلما تلذذ في الحياة، تلذذ في قراءته، في عبادته، حتى في أكله وشربه ونومه، وفي مشيته وجلسه، يشعر بحلاوة الإيمان.

• ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ وعلى النقيض، فضعيف الإيمان يقلق ويقنط منذ أن تصيبه مصيبة، ويحزن، ويبقى في خوف مُستمر، وفزع، وساوس؛ لأنَّ إيمانه ضعيف، وكما قوي إيمان العبد، كلما زاد خيره الحسني والمعنوي.

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾.

• قبلها الآية مرّت: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾، وهنا: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، وتقدّم الرُّشد، أنه الخير، أو الجامع لخيري الدنيا والآخرة، الحسي والمعنوي، والمسلمون منهم تَحَرَّوْا رَشَدًا، ووفقوا إليه.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا \* وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا \* لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

• الله تعالى يحب الْمُقْسِطِينَ، وهنا قال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، كيف ذلك؟

• الْقَاسِطُونَ هنا هم: الظالمون، ليس على معنى الْمُقْسِطِينَ، هناك فرق بين الْمُقْسِطِينَ، وبين الْقَاسِطِينَ، فالْمُقْسِطُونَ هذه صفة مدح لهم، العدل والفضل، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فصفة ذم، وكما ذكر ربنا: ﴿وَأَمَّا

<sup>٧</sup> ورد أن هذا العالم هو إبراهيم بن أدهم رحمه الله.

<sup>٨</sup> قال الشنقيطي في أضواء البيان في تفسير سورة التغابن: "وقوله: ومن يؤمن بالله يهد قلبه، قرئ ( يهدأ ) بالهمز من الهدوء، و ( قلبه ) بالرفع، وهي بمعنى يهدي قلبه ؛ لأنه يعلم أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، فيستريح فيطمئن قلبه بهذا ولا يجزع، وهذا من خصائص المؤمن. كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ حَتَّى الْمَوْتُ يُشَاكُّهَا فِي قَدَمِهِ"

<sup>٩</sup> قال هرقل لأبي سفيان. كما في البخاري: "وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطا على دينه بعد أن يدخل فيه؟ فأجبت: لا . قال هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب .

**الْقَاسِطُونَ** ﴿﴾ فه يختلفون، وهم مراتب، الكفار، الظلمة، هذا قاسط في حكمه، في قضائه، أي: ظالم وجائر، والأكبر هو الكفار هؤلاء.

• ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ﴿﴾ انظر إلى المبالغة في عذابهم، أبدانهم وعظامهم حطب لجهنم، زيادة في تعذيبهم، أجارنا الله جميعًا ووالدينا والسَّامعين والمشاهدين من ذلك، وجعلنا جميعًا من أهل الفردوس الأعلى.

• ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا \* لِنَفْتِنَهُمْ﴾ ﴿﴾ هنا قالوا: هذه الآية كمثل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ ﴿﴾ [الأعراف: 96]، لو أنهم أطاعوا الله واتقوه، لجاءتهم الخيرات والبركات، وهؤلاء لو استقاموا على الطَّرِيقَةِ -الإسلام- أَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا، وقد ذكر الماء دُونَ غَيْرِهِ؛ لأنَّ الماء أصل الأشياء، فَذِكْرُهُ يدل على ذِكْر مَا دُونَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وقيل: لأنَّ الماء كان قليلًا في ديار العرب، جبال مكة، فذكره تعظيمًا لشأنه.

• ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا \* لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ ﴿﴾ ، قال بعضهم: وللاية معنًى آخر: أنهم لو لم يُسلموا، واستمروا على عنادهم، سَنُعِمَ عليهم، لكن هذه النِّعم لهم أم عليهم؟ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿﴾ [الأعراف: 182]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فْجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ ﴿﴾ [يونس: 24]، فتارة النِّعم تكون مَنحًا من الله، وفضلًا للطائعين، لكنها تكون استدراجًا وعقوبةً مُّعَجَّلَةً للعاصين.

• ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ﴿﴾ ، قالوا: ﴿صَعَدًا﴾ ﴿﴾ لأنَّ العذاب يغشاه، يأتيه من فوقه، كأنه صَعَدَ عليه من شدته، والإعراض عن ذكر الله من أعظم الأمور: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ﴿﴾ ضِيقًا، أي: في نكد، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿﴾ [طه: 124]، لاحظ، في الدنيا يعيش في نكد وعمى معنوي، لا يُبصر الحق، وفي الآخرة أعمى عن الخير، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿﴾ ، عذابٌ في الدنيا مُعَجَّلٌ، وعذابٌ في الآخرة مُؤَجَّلٌ.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.